(٤٠) منصور بن عمار[١]

ذكر الشيخ منصور بن عمار رحمه الله تعالى:

كان رحمه الله تعالى من حكّام المشايخ، ومن سادة الصوفية، وفي المواعظ له كلماتٌ عالية، حتى قيل: ما تكلّمَ أحدٌ من المشايخ أَحسنَ منه.

وكان في أنواع العلوم كاملاً، وصاحبَ معرفةٍ، وله في خُراسان قبولٌ عظيم.

وسببُ توبته على ما نُقل أنه وجدَ رقعةَ كاغدٍ مكتوبًا عليها بسم الله الرحمن الرحيم، فأخذها، وما وجد ثقبةً في جدارٍ يضعها فيها، فابتلعها، فرأى في المنام كأنَّ قائلاً يقول: بسببِ تعظيمك تلكَ الرُّقعة فتحنا عليك باب الحكمة. فاشتغل مدّةً بالرياضة، ثم شرع في الوعظ.

نقل أنه كان في زمانه شابٌّ فاسق، اشتغل في بعض الأيام بالفسق، وأعطى غلامًا له أربعة دراهم، وأمرَهُ أن يشتري ما يُتنقّلُ[٢] به، فوصل الغلامُ في مروره إلى مجلسِ ابن عمار، وخطر ببالِهِ أن يدخلَ ويسمعَ من كلماته، فلمّا دخلَ سمع يقول: من الذي يُعطي هذا الفقيرَ أربعةَ دراهم، لأدعو له بأربعة أشياء. وكان هناك فقيرٌ يسألُ أربعة دراهم، فقال الغلام من نفسه: أنا أَصرفُ هذه الأربعة

---

(١) التاريخ الكبير ٧/ ٣٥٠، الضعفاء للعقيلي ٤/ ١٩٣، الجرح والتعديل ٨/ ١٧٦، الثقات لابن حبّان ٩/ ١٧٠، الكامل في الضعفاء ٦/ ٣٩٣، طبقات الصوفية ١٣٠، حلية الأولياء ٩/ ٣٢٥، تاريخ بغداد ١٣/ ٧١، الرسالة القشيرية ٦٨، مناقب الأبرار ٣٢٩، صفة الصفوة ٢/ ٣٠٨، المختار من مناقب الأبرار ٥/ ٦١، مختصر تاريخ دمشق ٢٥/ ٢٥٩، سير أعلام النبلاء ٩/ ٩٣، ميزان الاعتدال ٤/ ١٨٧، طبقات الأولياء ٢٨٦، النجوم الزاهرة ٢/ ٢٤٤، نفحات الأنس ٩٤، طبقات الشعراني ١/ ٨٣، الكواكب الدرية ١/ ٧٢٠..

(٢) كذا في الأصلين، وفي الرسالة القشيرية ٢٢٦ (باب الرجاء): يشتري شيئًا من الفواكه.
والنُّقْل: ما يُتنقَّل به على الشراب من فواكه وكوامخ، وأيضًا ما يتفكَّه به من جوز ولوز وبندق. المعجم الوسيط.

على الفقير، وأسألُ الشيخَ أن يدعو لي[١] بأربعة أشياء. فأعطاه، وقال: يا شيخ، ادعُ اللهَ تعالى لي بأربعة أشياء. قال الشيخ: اختر شيئًا لأدعو اللهَ لك. قال الغلام وكان مملوكًا: ادعُ الله تعالى أولاً أن يَرزقني العتقَ، ويخلّصني من الرقِّ. فدعا الله تعالى بهذا، وثانيًا أن يرزقَ سيِّدي توبةً من المناهي. فدعا، وثالثًا أن يعطيني بدل الدراهم شيئًا أذهب به إلى مولاي. فدعا بها أيضًا، ورابعًا أن يغفرَ اللهُ لكَ ولي ولمولاي ولأهلِ هذا المجلس. فدعا منصور بهذا أيضًا، ثم رجعَ الغلامُ إلى مولاه، وقال: اشتريتُ بالدراهم أربعَ دعواتٍ في مجلس منصور بن عمار. قال سيده: وما هي؟ قال: أولاً أن يرزقني اللهُ نجاةً من الرقِّ، وثانيًا أن يرزقَكَ التوبة، وثالثًا أن يُعطيني بدل الدراهم، ورابعًا أن يغفرَ للشيخ ولي ولك ولأهل ذلك المجلس. فلمّا سمعَ الكلماتِ من المملوك أثَّرَ في قلبه، وقال: أَعتقتُكَ لوجه الله تعالى، وتبتُ إلى الله تعالى ممّا أنا فيه من الفسوق، وأعطيتك أربعة آلاف درهم بدلَ الدراهم الأربعة، وأمّا الدعاء الرابع فإجابته على الله، وما لي فيه مجالٌ، والذي طلعَ بيدي عملتُ، وأنا معذورٌ في ذلك. فرآى في ليلته في المنام هاتفًا يقول له: ما كان بيدك فعلتَهُ مع أنَّكَ عبدٌ لئيم، وما أحلته على الله تعالى كيفَ أُهملُه مع سَعِة رحمتي؟! فغفرتُ لك ولغلامِك ولمنصور ولمن كان في مجلسه.

نقل أنه كان يومًا مشغولاً بالوعظ، فناوله شخصٌ رقعةً فيها مكتوب هذا البيت:

وغيرُ تقيٍّ يأمرُ الناسَ بالتُّقى طبيبٌ يُداوي الناسَ وهو مريضُ

واتفق لهذا الفقير أيضًا أبياتٌ في هذا المعنى وهي:

أَلاَ [يـا] أيُّهـا الحبـرُ الهُمـام ويـا مَـنْ رأيُـهُ فينـا مُصيـبُ
تَتَبَّعْـتَ الأُمـورَ بقـدرِ وسـعٍ بـدا لـي مُشكـلٌ فمـنِ المُجيـبُ
طبيـبٌ عـالـجَ المَـرضـى بجهـدٍ فمـا بَـرئُوا وقـد مَـرضَ الطَّبيـبُ

(١) في (ب): أن يقول بأربعة أشياء.

فأجاب المنصور وقال: اعملْ بقولي، فإنَّ عملي لا يَنفعُكَ، وتقصيري في العمل لا يَضرُّك[١].

نقل أنه كان يعبرُ في بعض الليالي في بعضِ السِّكك، فسمع من يُناجي ربَّهُ ويقول: إلهي، ما جرى عليَّ ما كان لأجلِ أنّي قَصدتُ مُخالفتَكَ؛ ولكن أَضلّتني نفسي، وأغواني الشَّيطانُ، لا جرم وقعتُ فيما وقعتُ، إن لم تُمسكْ بيدي فمن يُمسكُ بيدي؟ وإن لم تَعفُ عنّي، فمن يَعفُو عنّي؟ ومَنْ يُنجيني من عذابك وعقابك؟ فإنّي قد سوّدتُ وجهي، فكم أرجعُ إليك وأَتوبُ وأَعصي! كان يذكر من هذا النوع ويبكي، فقال المنصور: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] فلمّا أصبحَ اتَّفق له عبورٌ في ذلك الطريق، فسمع بكاءً في ذلك البيت، فسأل مِنْ شيخٍ هناك عن الحال، فقال: كان لي ابنٌ يَبكي البارحةَ من خوف الله تعالى، فعبرَ شخصٌ، وأَسمعه آيةً من القرآن، فحين سمعَ ماتَ في ساعته من خوفِ الله تعالى.

نقل أن هارونَ الرشيد سألَ عن المنصور بن عمّار مسألةً، وأمهلَهُ ثلاثةَ أيام، فقال: من أعلمُ الناس؟ ومَنْ أَجهلُ الناس؟ فخرج المنصور من مجلسه، ثم رجع عن الطريق، وقال: يا أمير المؤمنين، أعلمُ الناسِ المُطيعُ الخائفُ، وأَجهلُهم العاصي الآمنُ.

ومن **كلامه** أنه قال: سبحانَ من جعلَ قلوبَ العارفين محلَّ ذكره، و[قلوب] الزاهدين موضعَ التوكّل، وقلوب المُتوكّلين منبعَ الرضا، وقلوبَ الفقراء منزلَ القناعة، وقلوبَ أهل الدنيا مقرَّ حبِّ جمع المال.

قال: الناسُ على قسمين: قسمٌ عارفٌ بنفسِهِ[٢]، وقسمٌ عارفٌ بالله. فالأولُ مَشغولٌ بالمجاهدة والرياضة، والثاني بالعبادةِ والطلب.

---

(١) كأنه ترجمة لبيت الخليل بن أحمد كما جاء في عيون الأخبار لابن قتيبة ٢/ ١٢٥:

اعمـل بعلمـي ولا تنظـرْ إلـى عملـي ينفعك قولي ولا يضرُّك تقصيري

(٢) في (أ): عارف نفسه.

وقال: الحكمةُ تتكلَّمُ في قلوب العارفين بلسان التصديق، وفي قلوبِ الزاهدين بلسانِ التفضيل، وفي قلوب العابدين بلسانِ التوفيق، وفي قلوب المُريدين بلسان التفكّر، وفي قلوب الطالبين بلسان التذكُّرِ.

وقال: طوبى لمن أَصبحَ والعبادةُ حرفتُهُ، والفقر أُمنيتُه، والعزلةُ مسكنه، والآخرةُ همَّتهُ، وفي الموتِ فكرُهُ، وفي الرحمة رجاؤه بالتوبة.

وقال: أجملُ لباسٍ للعبد التواضعُ والانكسار، وأَحسنُ لباسٍ للعارف التقوى.

وقال: سلامةُ النفس في مُخالفتها، وهلاكُها في مُوافقتها ومتابعتها.

وقال: من جزعَ في مصائب الدنيا يُوشكُ أن يقعَ في مصائب الدين.

وقال: من ترك أماني الدنيا استراحَ عن الهموم، ومن امتثلَ أمرَ اللهِ تعالى أَمِنَ من العُذر.

نقل أن أبا الحسن الشعراني رأى المنصور رحمه الله في المنام بعد وفاته، فقال: ما فعلَ اللهُ بك؟ قال: قال الله: أنت المنصور بن عمّار؟ قلت: نعم. قال: أنت الذي كنتَ تأمرُ الناس بالزهد ولا تأتي به؟ قلت: نعم، إلهي، الكلامُ كلامُك، ولكن ما اشتغلتُ بالوعظِ أبدًا إلاّ وابتدأتُ بحمدِك وثنائك، ثم بالصلاة والسلام على نبيِّكَ عليه السلام، ثم شرعتُ في نُصح عبادك. فقال الله سبحانه وتعالى: صدقتَ. ثم أمرَ الملائكةَ: أن انصبوا له كرسيًّا في السماء بين الملائكة؛ ليُثني عليَّ كما كان يُثني عليَّ في الأرض[1].

اللهم اجعلنا مَشغولين بذكرك وشكرك، وحسن عبادتك، وتلاوةِ كتابك، ووفِّقنا للثناءِ عليك، وارزقنا شكرَ نعمائك وآلائك، وصلِّ على أشرفِ أنبيائك، ومبلّغ أنبيائك محمدٍ عليه السلام وعترته الطيبين الطاهرين، وأصحابه أجمعين.

* * *

(١) هنا ينتهي المجلد الأول من الترجمة العربية المطبوعة، أما الثاني فلمّا يُطبع بعدُ.